Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Print ISSN: 2710-095 Electronic ISSN 2790-1254
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي الثامن لكلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية – جامعة بغداد بعنوان
التكامل المعرفي للدراسات التربوية والاجتماعية

أزمة الهوية وتمظهرتها في رواية مرافئ الحب السبعة لعلي قاسمي دراسة تحليلية

أ.م. د يسرى خلف حسين
جامعة بغداد / كلية التربية أبن رشد/ قسم اللغة العربية
yusra.khalaf@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

الملخص
يتناول هذا البحث أزمة الهوية وتمظهراتها في رواية مرافئ الحب السبعة للكاتب العراقي علي القاسمي، عبر دراسة تحليلية تكشف الأبعاد الفلسفية والسردية لتشكّل الهوية وتحولاتها. ينطلق البحث من تأصيل نظري لمفهوم الهوية لغةً واصطلاحًا، مستندًا إلى مرجعيات فلسفية وفكرية، ثم يتتبع تجلياتها داخل النص الروائي من خلال أربعة محاور رئيسة: مفهوم الهوية، صراع الهويات بين الوجود والفناء، الهوية وفلسفة الوجود، والهوية بين خفاء الأنا وظهور الآخر.
تكشف الدراسة أن الهوية في الرواية ليست معطى ثابتًا، بل بناءً ديناميكيًا يتشكل عبر تجارب الاغتراب والهجرة والحب، ويتأرجح بين الانتماء للوطن والانفتاح على الآخر. كما يتجسد صراع داخلي لدى البطل بين الرغبة في التمسك بالذات والخوف من الذوبان، وبين الوجود المتحقق بالحب والكتابة، والفناء المتمثل في الضياع والخيبة. وتبرز عناصر المكان والزمان والمرأة واللغة بوصفها مرتكزات أساسية في تشكيل الهوية السردية؛ إذ يغدو الوطن رمزًا للانتماء، واللغة وعاءً للهوية القومية، والحب تجربة وجودية تعيد بناء الذات. وتخلص الدراسة إلى أن الرواية تمثل خطابًا سرديًا وجوديًا يعكس تعقيدات الهوية العربية المعاصرة في ظل التحولات السياسية والثقافية، مؤكدةً أن الأدب فضاءٌ فاعل لتحليل إشكاليات الهوية والكشف عن أزماتها وتجلياتها.
الكلمات المفتاحية: الهوية، أزمة الهوية، الاغتراب، فلسفة الوجود، الأنا والآخر، السرد الروائي، علي القاسمي.

Abstract
This study investigates the crisis of identity and its manifestations in the novel Marafi' al-Hubb al-Sab'a (The Seven Harbors of Love) by the Iraqi writer Ali Al-Qasimi. Adopting an analytical approach, the research explores the philosophical and narrative dimensions of identity formation and transformation. It begins with a theoretical framework defining identity linguistically and conceptually, then analyzes its representations through four main axes: the concept of identity, the conflict between existence and annihilation, identity and .the philosophy of being, and identity between the hidden self and the presence of the Other
The study demonstrates that identity in the novel is portrayed as a dynamic and fluid construct shaped by exile, migration, and love. The protagonist embodies an Inner struggle between belonging and estrangement, self-assertion and dissolution, as well as between existential fulfillment through love and writing and existential loss through alienation and disappointment. Elements such as place, time, woman, and language function as central pillars In shaping narrative Identity, where homeland symbolizes belonging, language embodies cultural identity, and love represents an existential path toward self-realization.
The research concludes that the novel presents an existential narrative reflecting the complexities of contemporary Arab Identity amid political and cultural transformations, affirming literature as a vital space for examining identity crises and their manifestations.
Keywords: Identity, Identity Crisis, Exile, Philosophy of Being, Self and Other, Narrative Fiction, Ali Al-Qasimi.

المقدمة

تُعد الهوية واحدة من أكثر المفاهيم تعقيدًا في الدراسات الأدبية، حيث تتداخل فيها العوامل الثقافية، الاجتماعية، والنفسية لتشكل تجربة الإنسان الفردية والجماعية، في الأدب، تُبرز تمثيلات الهوية تجارب الشخصيات، صراعاتهم، وآمالهم، مما يعكس التنوع الغني للتجارب الإنسانية، من خلال النصوص الأدبية، يتم استكشاف الهوية بطرق متعددة؛ فبعض الأعمال تركز على الهوية الثقافية والانتماء، بينما تستكشف أخرى الهويات الجندرية أو الهويات المهاجرة، إضافةً إلى التوتر بين الهوية الفردية والهوية الجماعية، وبالتالي، يعد الأدب وسيلة فعّالة لفهم الديناميات المعقدة للهوية وكيفية تشكلها وتغيرها في سياقات مختلفة، في هذه الدراسة، سنستعرض الأبعاد المتعددة للهوية وتمثلاتها في الأدب، ونسلط الضوء على كيفية تفكيك النصوص الأدبية للعديد من القضايا المرتبطة بالهوية.

هذا البحث يسعى إلى استكشاف مفهوم الهوية من جوانب متعددة، من خلال تحليل الأسس النظرية والفلسفية للهوية، وتتبع تمثلاتها المتنوعة في الواقع الاجتماعي والثقافي ولتحقيق هذا الهدف، سيتم تقسيم البحث إلى أربعة مطالب رئيسية:

المطلب الأول: مفهوم الهوية، المطلب الثاني: صراع الهويات، الوجود والفناء، المطلب الثالث: الهوية وفلسفة الوجود، الرؤية والتجليات، المطلب الرابع: الهوية بين خفاء الأنا، وظهور الآخر:

ملخص الرواية: "مرافئ الحب السبعة" هي رواية للكاتب العراقي علي القاسمي، تروي قصة سليم الهاشمي، أستاذ جامعي عراقي يضطر للهجرة نتيجة انقلاب عسكري في بغداد، تأخذنا الرواية في رحلة عبر سبع مدن، يُطلق عليها الكاتب "المرافئ"، حيث يمر سليم بتجارب متنوعة تمزج بين الغربة والحنين، والحب والفراق.

تبدأ مغامرة سليم من بغداد، ثم ينتقل إلى بيروت، تليها الولايات المتحدة الأمريكية، فالمغرب، ثم القاهرة، فرياض، ليعود مجددًا إلى المغرب.

في كل مدينة يواجه سليم تجارب حياتية وعاطفية جديدة، مما يجعله يبحث عن معنى الحب والحياة. تظهر في الرواية ثلاث نساء تركن أثراً عميقاً في حياته: امرأة أحبها وأحبته، لكن القدر حال دون لقائهما، وأخرى أرادته لكنه لم يبادلها المشاعر فكسر قلبها، وأخيراً امرأة أرادها لكنها ترفضه، مما يجعله غير قادر على نسيانها. من خلال هذه الرحلة، يعكس القاسمي مشاعر الاغتراب والحنين والسعي نحو الذات.

تعتبر مدينة فاس في المغرب محطة بارزة في حياة سليم، حيث عاش فيها تجربة حب مميزة مع امرأة تُدعى أثيرة. ينظر القاسمي إلى فاس كـ "المدينة الحلم"، إذ ينتقل سليم من واقعه المؤلم إلى مدينة يسعى فيها لتحقيق أحلامه واكتشاف ذاته.

تجمع الرواية بين مشاعر الغربة والحنين، واللهفة واليأس، والحب والفراق، وتبرز أن الحب هو الهدف الأسمى، وليس مجرد الفتاة، في رحلة البحث عن الذات.

المطلب الاول: مفهوم الهوية

عندما يشعر الفرد بأن هناك تهديدًا لوجوده، يلجأ إلى تأكيد ذاته من خلال البحث عن جوانب أصيلة مخزونة في أعماقه، مما يمنحه الثقة والإيمان والقوة لمواجهة ذلك الخطر. وهكذا، تتشكل الهوية في أعماق الذات، حيث تتداخل عدة عناصر تتعلق بالجنس والعمر والطبقة الاجتماعية والموروث الثقافي، التي تشكل أسس الهوية. وبالتالي، يولي الآخر المتربص اهتمامًا كبيرًا للقضاء على هذه الهوية، التي تشكل جوهر الروح والوعي للفرد، وفي هذا السياق، تدرك الشعوب المتحررة حديثًا أهمية الحفاظ على هويتها، كما أشار الدكتور "زكي نجيب محمود"، حيث أوضح أن الهوية لا يمكن حمايتها إلا من خلال تمسك الشعب بثقافته التي ورثها عن أسلافه، بما في ذلك العقيدة واللغة والفن والأدب والعديد من الأنظمة الاجتماعية [1]

مفهوم الهوية لغة:

مصطلح الهوية مشتق من كلمة "الهو"، كما تُشتق كلمة الإنسانية من كلمة "إنسان" تعبر هوية الشيء عن عينيته، وتعريفه، وخصوصيته، والتي ندركها من خلال الإجابة على السؤال: "ما هو؟"[2]

في الأصل، الهوية ليست مصطلحًا عربيًا، بل هي كلمة دخيلة. عند العودة إلى المعاجم العربية مثل "لسان العرب" لابن منظور، نجد أن هذا المصطلح يكاد يكون غائبًا، وقد اضطُر بعض المترجمين لاستخدامه في كتاباتهم، تم اشتقاقه من حرف الرباط "est"، الذي يعني عند العرب ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره [3]

المفهوم الاصطلاحي للهوية:

يمثل مفهوم الهوية أحد المفاهيم التي شهدت تبايناً كبيرًا في محاولات تحديد تعريف موحد لها، حيث يصعب الوصول إلى تعريف ثابت نظرًا لاختلاف وجهات النظر. وفيما يلي بعض الآراء التي تعكس ذلك، يوضح الفارابي أن الهوية تعني:

"هوية الشيء ووحدته، وعينيته، وخصوصيته، ووجوده المنفرد، حيث إن كل واحد يحمل وجوده الخاص. وعندما نقول 'هو'، فإنما نشير إلى هويته وخصوصيته، ووجوده الفريد الذي لا يشترك فيه مع غيره" [4]

نجد أن الهوية تُعرف بأنها "جوهر الشيء الذي يميزه عن غيره، ونطلق عليها أيضًا اسم وحدة الذات" [5]

أما الجرجاني فيقول إن الهوية "تمثل الحقيقة المطلقة التي تحتوي على جميع الحقائق، تمامًا كما تحتوي النواة على الشجرة في غيبيتها المطلقة" [6]

المطلب الثاني: صراع الهويات، الوجود والفناء

صراع الهويات:

إن البحث عن الهوية يمثل حاجة ذاتية واجتماعية تسعى لتأكيد المكانة الفردية والانتماء إلى مجموعة معينة. فبفضل الهوية، يتمكن الفرد من تمييز نفسه عن الآخرين، كما تميز الجماعة نفسها عن سائر الجماعات. وبالتالي، يعد جوهر الهوية مرتبطًا بمفهوم التمييز، حيث يساهم في تحديد الخصائص الفريدة للأفراد والجماعات من خلال محددات ثقافية تعكس تقاليدهم ونظام قيمهم[7]

بلا شك، مفهوم الهوية يعد من المفاهيم الجوهرية التي تحظى بحضور دائم في مجالات معرفية متنوعة، وبالأخص في العلوم الإنسانية ذات الطابع الاجتماعي، حيث تُعتبر من أكثر المفاهيم تداخلاً في عمق حياتنا الثقافية والاجتماعية واليومية، وكذلك من بين الأكثر شيوعاً واستخداماً [8]

تتجلى الهوية في الخصائص التي تميز فرداً عن آخر، أو جماعة عن جماعة أخرى، وهي تمثل صورة تعكس واقعاً معيناً وتصورات محددة [9]

وبحسب رؤية بول ريكور، فإن الهوية هي مسار تكويني يُصاغ من خلال فن السرد، وتتحقق عبر حركة تفاعلية بين الأنا والآخر، مما يسهم في تأسيس مفهوم الوجود [10]

في النص، يتجلى صراع بين الوجود والفناء، حيث يظهر التمزق بين الحب العميق (الوجود) والرغبة في الابتعاد والتلاشي (الفناء)، يعبر الكاتب عن شوقه لشخص محبوب، لكنه يشعر أيضًا بالتعب النفسي الذي يدفعه للهروب، يشبه مرور عمره كالمطر الذي ينحدر نحو الوادي، مما يوحي بأنه يتجه نحو الزوال، لكنه يبقى يقاوم الفناء محتفظًا بجاذبية الحبيب وذكرياته رغم الوقت

هذا الصراع يظهر في التوتر بين الرغبة في الاستمرار في الحب والاعتزاز بالعلاقات، والحاجة إلى التحرر، المقولة التي تلخص هذا الصراع هي:

«وها هو عمري ينساب مثل انسياب مياه المطر من قمة التل إلى حضيض الوادي، ولما ينبجس الأمل، وها هي حياتي تميل إلى الهروب، وأنا ما زلت أخادع نفسي كما يفعل الأبله» [11]

تعكس هذه العبارة التناقض بين التعلق بالحياة (الوجود) والانجراف نحو الفناء (الهروب)

وايضًا هناك مقطع يعكس صراع الهويات بين الوجود والفناء، وهو عندما يقول الكاتب:

«عندما أتعامل مع الكلمات، يلمع اللون في جراحي، وتغلغل رائحة المأساة نافذة في أعماقي، فأحسّ بوجودي، في الكتابة تنهيد السدود وتمحي الحدود، وأستطيع أن أفعل ما لا أناله في الحياة[12]

هذا المقطع يعبّر عن الصراع بين الشعور بالوجود من خلال الكتابة والانغماس فيها، وبين الفناء الذي يتمثل في الحدود التي تفرضها الحياة. الكتابة هنا تصبح وسيلة للتحرر من القيود والضياع، مما يجسد التوتر بين الرغبة في البقاء والخوف من الفناء.

وايضًا يتجلى صراع الهويات من خلال مناقشة أهمية اللغة العربية في مواجهة دعوات التغريب العبارة التي تعكس هذا الصراع هي:

«يفند الأوهام الشائعة عن اللغة، مثل: الكتابة هي اللغة أو وجود رابطة طبيعية بين الكلمات ومعانيها أو وجود لغات متطورة وأخرى بدائية أو وجود لغات منطقية وأخرى غير منطقية أو لغات جميلة وأخرى قبيحة أو لغات صعبة وأخرى سهلة» [13]

هذه العبارة تجسد الجدل حول الوجود الثقافي واللغوي في مواجهة الأفكار التي تسعى إلى التقليل من قيمة اللغة العربية. مما يدل على صراع بين الحفاظ على الهوية اللغوية والانتماء الثقافي من جهة، ومحاولات الفناء اللغوي التي تنطلق من التغريب من جهة أخرى

«تعوم طافيةً على الماء، ثم تغطس فيه، ثم تبرز لتنتفض مهيبة، ثم تنتفض ثانية... والقمر يواصل إرسال أشعته إليها وينهرها بنوره» (14)

هذه العبارة تجسد الصراع بين الوجود والفناء، حيث ترمز حركة البطّة بين الغوص والطفو إلى دورة الحياة والموت، بينما القمر يمثل وعي الإنسان الذي يراقب هذه التحولات

أذ يحمل رمزية عميقة تتعلق بالصراع بين الوجود والفناء، حيث تظهر البطة وكأنها تجسد الكائن الحي الذي يعوم فوق سطح الحياة (الوجود)، ثم تغوص في الماء (وكأنه الفناء أو العدم)، لكنها تعود لتنتفض مجددًا، مما يعكس دورة الحياة والموت والتجدد. كما أن القمر بنوره يرمز إلى وعي الإنسان الذي يراقب هذه الدورة ويحاول فهمها، مما يضيف بعدًا فلسفيًا حول الصراع بين البقاء والاندثار

يظهر في هذا المقطع صراع بين الوجود والفناء، خاصة في هذة الجملة:

«لأنك أنقذتني من أكذوبة كنت أُسرها ثلاث سنوات، واليوم تحررت منها، وأشعر أنني في طريقي لأصبح طبيعية» (15)

هنا، نجد أن الشخصية تعيش صراعًا بين الهوية المزيفة (الأكذوبة) التي كانت تحياها طوال ثلاث سنوات، وبين تحررها منها للوصول إلى هوية أكثر أصالة وحقيقية. الأكذوبة تمثل حالة من الفناء الداخلي، حيث لم تكن تعيش حياتها بصدق، بينما التحرر منها يعيدها إلى الوجود الحقيقي.

أيضًا، تأكيدها على أن زوجها الراحل كان يخشى فقدانها لو علم الحقيقة، يعكس فكرة كيف يمكن للخوف من الفقد أن يدفع الإنسان إلى خلق هوية مزيفة، مما يعزز الصراع بين البقاء على قيد الحياة بشكل غير حقيقي والفناء النفسي مقابل العيش بصدق مهما كان الثمن

ونجد ايضا صراع الهويات بين الوجود والفناء، في هذا الجزء:

«أما هو فلا ينتمي إلى هذه الثقافة، ولا يتقبل أنماط سلوكها بسهولة، فقبليته تبقيه في الضفة الأخرى، ويبقى في له وفكره أمل وحيد: توق إلى العودة إلى الوطن، عندما تتغير الأوضاع السياسية» (16)

في هذا السياق، نجد أن الشخصية (سليم) يعيش صراعًا بين الانتماء والاغتراب. فهو موجود جسديًا في بيئة ثقافية مختلفة (الجامعة في الخارج)، لكنه لا يشعر بأنه ينتمي إليها فكريًا أو ثقافيًا. إحساسه بالاغتراب يعكس نوعًا من الفناء الداخلي، حيث يشعر بأنه يعيش في بيئة لا تتوافق مع هويته.

في المقابل، يبقى أمله في العودة إلى الوطن بمثابة إعادة إحياء لهويته، مما يعكس الصراع بين الفناء في بيئة لا ينتمي إليها والوجود الحقيقي الذي يربطه بوطنه

المطلب الثالث: الهوية وفلسفة الوجود، الرؤية والتجليات (المرأة/ المكان/ الزمان/ الدين/ الثقافة)

تُعتبر رواية "مرافئ الحب السبعة" للكاتب علي القاسمي عملاً أدبيًا عميقًا يتناول قضايا الهوية وفلسفة الوجود من خلال تجربة الشخصية الرئيسية سليم الهاشمي. تركز الرواية على رحلة سليم، الأستاذ الجامعي العراقي، الذي يسافر عبر عدة بلدان، بدءًا من بغداد، ثم بيروت، والولايات المتحدة، وصولًا إلى المغرب، بحثًا عن الذات والمعنى في ظل تجارب الاغتراب والشعور بالحنين

الهوية:

تعكس الرواية التصدع الهوياتي والاغتراب الذي يعاني منه البطل نتيجة تنقله المستمر بين ثقافات متنوعة. يُظهر هذا التنقل الصراع الداخلي الذي يعيشه سليم بين انتمائه لوطنه العراق ومحاولاته للتكيف مع البيئات الجديدة. من خلال شخصية سليم، يبرز القاسمي كيف أن تجارب الاغتراب والهجرة يمكن أن تؤثر على تشكيل الهوية الفردية وتُحدث انقسامات فيها (17)

فلسفة الوجود:

تستعرض الرواية موضوعات فلسفية شتى تتعلق بالوجود الإنساني، مثل عبثية الحياة، الجبر والاختيار، ومفهوم الحب بمختلف مستوياته. يقوم القاسمي بمناقشة هذه القضايا عبر حوارات سليم الداخلية وتفاعلاته مع الشخصيات الأخرى، مما يمنح السرد عمقًا فلسفيًا ويحث القارئ على التأمل في معاني الحياة والوجود (18)

ـ المرأة:

تظهر المرأة في دور الأم التي تمنح الأمان والعطف، كما في الفقرة:
«كانت أمي تضمّني إلى صدرها، تحملني بين ذراعيها، تأخذني من غرفتي إلى باحة الدار، تمددني على فراش وثير هناك تحت نخلتنا الباسقة» [19]
هنا، الأم تمثل الحنان، الحماية، والاستقرار العاطفي، مما يربط المرأة بدور أساسي في تشكيل الهوية والوجود
ـ المكان:
يظهر المكان كعنصر أساسي في تشكيل التجربة الإنسانية، سواء في البحر كرمز للضياع أو في البيت كمكان للحنين والذكريات:
«ولا طوق نجاة على المركب. تنكسر شمس العمر على أفق الغربة، وليس سوى فوانيس الشوق تضيء جوانحي» [20]
البحر هنا رمز للضياع والتيه، في حين أن البيت في المقطع الآخر يمثل الحنين والدفء.
ـ الزمان:
يظهر الزمن بوضوح في استرجاع الذكريات والانتقال بين الطفولة والحاضر:
«عندما كانت تصيبني الحمى في طفولتي. كنت أتمدد في ظل تلك النخلة وأطلع إلى الأعلى»[21]
هنا، يتم استحضار الطفولة في مقابل الحاضر، مما يعكس فكرة التحول والتغير المستمر للهوية عبر الزمن.
وأن المقولة الواردة في الرواية حيث يقول المتحدث:
«في تلك اللحظة لم أكن واثقًا من شيء، وحتى لو منحتني ليلة حبٍ واحدة، ما الذي يضمن لي أثناء نشوتي حين ذلك المساء ألا ينبش من مرقده غدًا أو بعد غد عندما نعود إلى الرباط، وتصبح أنت في مرابع الحبيب الأول، ومراع الذكريات، ومواجع الأحزان» [(22)]
حيث تحلل هذه المقولة وفق العناصر التالية:
ـ الهوية:
تتجلى هوية الشخص من خلال الصراع الداخلي الذي يشعر به، حيث يخشى الذوبان في الحب وفقدان ذاته أمام الذكريات. كما تشير المقولة إلى ارتباط الهوية بالماضي والعلاقات السابقة التي تؤثر في الحاضر.
ـ فلسفة الوجود:
تعكس قلقًا وجوديًا يتعلق بمفاهيم الحب والزمن وذكريات الماضي. يتضمن التساؤل عن المستقبل وما يمكن أن يحدث بعد لحظة النشوة فلسفة وجودية تربط بين الحاضر والماضي وما هو غير معروف.
ـ الرؤية والتجليات:
ـ المرأة: تعد محورًا أساسيًا في هذا السياق، فهي المصدر
ـ الحب والقلق، وتمثل جزءًا من الهوية العاطفية للمتحدث.
ـ المكان: "الرباط" لا يمثل مجرد موقع جغرافي، بل يصبح رمزًا للعودة إلى الواقع بعد لحظات الحب والاندماج العاطفي.
ـ الزمان: يتجلى التوتر في الانتقال بين "الآن" (لحظة النشوة) و"الغد" (المستقبل المجهول المليء بالاحتمالات)
في هذا المقطع من رواية مرافئ الحب السبعة لعلي القاسمي يحمل بعدًا فلسفيًا وتأمليًا حول الهوية وفلسفة الوجود
«فكرتُ في المطر. قطراته تبكي حياتي، وغيومه ترتوي من بحر.... كانت تحتضنني وتمسح بأصابعها على رأسي وتقبلني على جبيني وجنتي، ثم تأخذني إلى الغرفة الكبيرة.... في الليالي الممطرة، لم يكن أبي يخرج إلى المضيف بعد صلاة المغرب للقاء أهل القرية» [23]
الهوية وفلسفة الوجود، هذا المقطع يعكس نظرة فلسفية للوجود، حيث يتحول المطر إلى استعارة للحياة والموت، ويعبر عن تأملات الذات في مصيرها. والمرأة كمصدر للدفء والهوية العاطفية، فهنا تتجلى صورة الأم كرمز للحنان والاستقرار العاطفي، وهو جزء أساسي من تشكيل الهوية الفردية. اما المكان والزمان، يعكس هذا المقطع ارتباط الزمان بالممارسات الاجتماعية والتقاليد، حيث تتغير العادات تبعًا للظروف المناخية، مما يبرز العلاقة بين الإنسان والبيئة
المقطع التالي يعكس مفهوم المكان والزمان والهوية الثقافية: «كان يتخيل تلك الرسالة يمامة تحلق في السماء، لا تعيقها التلال ولا الجبال ولا الحدود. وعندما تعانق ناظرَيه، تتوحد أنهار المغرب والمشرق، تتسع المنابع والمصابّ، تنهطل الأمطار، تخضر الحقول وتكثر الظلال، ويشبع الجياع، وتصرح الحواشي في المراعي المعشبة، وتشترك الطيور في

أغنية واحدة تتردد صداها من الخليج إلى المحيط» [24]
هذا المقطع يرمز إلى الوحدة الثقافية والامتداد الجغرافي العربي، حيث تندمج عناصر الطبيعة مع الهوية المشتركة في فضاء بلا حدود، إنه تجلٍّ لفكرة الوطن المثالي، حيث تتحقق العدالة والوفرة، ويذوب الشتات في كيان متماسك.
أما فيما يخص فلسفة الوجود والخذلان، فإن المقطع التالي يعكس تجربة شخصية تحمل بُعدًا إنسانيًا عميقًا «لكني هذه الليلة وحيد حزين، أسير في دروب التيه، أواصل النشيج والنشيد الجنائزي، وأرتُّل بكائيات الوحدة، تصدني أسوار الغربة فارداً إلى براري الخيبة. أحس بقلبي يغوص إلى أعماق مستنقع الأسى وهو مثقل بأثقال غدرك وخيانتك» [25]
هنا نجد صراع الهوية الفردية في مواجهة الاغتراب والخيانة، حيث يصبح التيه حالة وجودية تعكس الاضطراب النفسي والخيبة الإنسانية

المطلب الرابع: الهوية بين خفاء الأنا، وظهور الآخر

الهوية والأنا:
يُعتبر مصطلح "الأنا" من أبرز المصطلحات التي تتقاطع بشكل كبير مع مفهوم الهوية، ويعود ذلك إلى طبيعته الدلالية. يُعرف الأنا بأنه كل فعل أو عمل ينبع من الذات، ويقوم على مبدأ الاستقلال الذاتي الذي لا يتأثر بالخارج. يسعى هذا الأنا إلى إثبات وجوده من خلال أنماط السلوك والوظائف التي يؤديها، مما يجعله إنجازًا مميزًا يتمتع بقوة حضور فعلي.
يمكن الوصول إلى مفهوم الأنا من خلال السؤال: "من نكون؟"، الذي طرحه فتحي تريكي في إطار مناقشته حول الهوية والتحديات المرتبطة بها. يقول تريكي: "إن صيغة من نكون؟ لا معنى لها إلا في إطار ظروف معينة وفعل إيديولوجي وسياسي محدد
كمثال على ذلك، يُشير إلى الفكر الإسلاموي، حيث يعتبر أن "الإسلاموية التي غزت المواقع المهيأة في العالم العربي عبر العروبية، بشقيها المختلفين: البعثية والناصرية، ليست سوى إجابة ظرفية وإيديولوجية لسؤال من نكون؟".
بهذا الشكل، يُظهر تريكي كيف أن الأنا والهوية يتم تشكيلهما وفقًا للظروف والسياقات الاجتماعية والسياسية المحيطة، مما يبرز أهمية فهم الديناميات المعقدة التي تؤثر على الهوية في العالم العربي[26]
هناك مقاطع في الرواية تتناول فكرة الهوية بين خفاء الأنا وظهور الآخر، بشكل رمزي وأدبي
على سبيل المثال:
«لم أتعلم كيف أتحرر من جاذبيتك حتى اليوم، كما تعلمت الطيور التحرر من جاذبية الأرض والتحليق في الفضاء، أو كما تعلم الإنسان من الطيور كيف يتخلص هو الآخر من تلك الجاذبية وينطلق في أرجاء الفضاء» [27]
هذه العبارة تعبر عن صراع داخلي بين الذات (الأنا) والتأثير القوي للآخر، حيث يحاول الراوي التحرر والانطلاق، لكنه ما زال مشدودًا إلى حضور الآخر. يمكن اعتبار ذلك إشارة إلى كيفية تشكل الهوية من خلال علاقتها بالآخرين، بين رغبة في الاستقلالية ووجود تأثير لا يمكن إنكاره
يقول السارد: «رأيتك تقتربين مني، يا أثيرة؛ عيناك شاسعتان ترفلان بأزهار النرجس..» [28]
هنا، تبدو هوية المتكلم متأرجحة بين ذاته ورؤية الآخر، حيث تندمج مشاعره وتجاربه الذاتية مع حضور الآخر. كما أن العبارة:
«أخبئك في قلبي، بين ضلوعي، ونرتوي حياة وحنانا، ولن نفترق بعد اليوم»
تعكس تجاوز الأنا الفردية إلى هوية مشتركة مع الآخر، حيث يصبح الحب جسرًا بين الذات والغير، مما يؤدي إلى ذوبان الحدود بينهما
وايضًا من المقولات التي تعبر عن الهوية بين خفاء الأنا وظهور الآخر في الرواية هي:
(فلماذا اخترتِ هذه الليلة بالذات لتعيشي بطفلك إليّ، يا أثير؟ ربما لم يكن ذلك من اختيارك بقدر ما كان من سوء حظي العاثر» [29]
هذا النص يوحي بصراع داخلي بين الذات والآخر، حيث تبدو الشخصية واعية لوجود الآخر (أثير) وتأثيره عليها، لكنها في الوقت نفسه تشعر بأن الأمر لم يكن خيارًا حرًا، بل نتيجة للظروف والمصير. هناك أيضًا إشارة إلى الوحدة والذاكرة، حيث تعيش الشخصية في عالم داخلي بينما يظهر الآخر كجزء من هذا العالم لكنه يظل غامضًا أو بعيدًا
نجد هذه المقولة تعكس التفاعل بين خفاء الأنا وظهور الآخر

«ها أني أتوهم أشياء لا تقع، وأسمع أصواتاً لا تنطق، وأرى مشاهد يستحيل رؤيتها بالعين الباصرة، بيد أني أراها بوضوح عجيب كأنها على مقربة مني، أتراني أراها ببصيرتي أم أن هذا بداية الجنون»[30]

هذا المقطع يعبر عن حالة تضارب بين الأنا الداخلية التي تعيش تجربة ذاتية حسية غير ملموسة، وبين الواقع الخارجي الذي يمثله الآخر. الأنا هنا تتساءل عن إدراكها للواقع، وتعيش صراعًا بين وعيها الداخلي وتجليات العالم الخارجي، وهو ما يعكس الهوية المتأرجحة بين الخفاء والظهور.

وهنا مقطع يعكس الهوية بين خفاء الأنا وظهور الآخر، وهو عندما سأل الدليل السياحي بغير إرادة منه: «ومن فقد الوطن، هل تكفيه قنينة صغيرة مثل هذه للدموع؟» [31]

هذا التساؤل يعبر عن تجربة الأنا الضائعة التي تبحث عن هويتها وسط وجود الآخر (السياح)، الذين ينظرون إلى المكان نظرة سطحية، بينما هو يعيش إحساس الفقد والانتماء. السياح يبدون مبتهجين بالسياحة والمتعة، بينما هو غارق في الحزن والتأمل في الهوية والاغتراب. هذه المفارقة بين نظرة الداخل (الأنا) ونظرة الخارج (الآخر) توضح هذا التوتر في الهوية بين الظهور والاختفاء

وايضًا هناك نص يظهر توتر الهوية بين خفاء الأنا وظهور الآخر

«تاه وجهي في فيافي الأحزان وأنا بلا بوصلة. أضناني التيه وأدمى روحي الترحال والتشرد والتشتت. أنا تائه في دروب هذا العالم، وأنا ضائع في دهاليز ذاتي» [32]

هذا الوصف يعكس ضياع الأنا وعدم قدرتها على التحديد، حيث يكون الفرد غير متأكد من ذاته في ظل التشرد والتيه. في المقابل، يظهر الآخر كمراقب لهذا الضياع، سواء أكان المجتمع، أو الأماكن التي يتنقل بينها، أو حتى السياق الذي يجعله يشعر بالاغتراب. الهوية هنا متأرجحة بين فقدان الذات (الأنا) وتحديدها من خلال علاقتها بالآخر.

«العربية لغتي القومية» تمثل هذه العبارة: الهوية القومية واللغوية

هذه العبارة تعبر عن الارتباط العميق باللغة العربية باعتبارها جزءًا أساسيًا من الهوية القومية، حيث تشكل اللغة وعاء الثقافة والتاريخ والانتماء.

«بالمناسبة، أأصبحَت العربيةُ لغةً صعبةً؟»

تمثل: صراع الهوية بين الانتماء والتغير

السؤال يعكس حالة الشك في ثبات اللغة، مما يشير إلى التحديات التي تواجهها الهوية اللغوية في ظل المتغيرات الحديثة، مثل العولمة وتأثير اللغات الأخرى.

«لا توجد لغة صعبة أو سهلة في حد ذاتها، إنما تعتمد سهولة اللغة على مدى ما نبذله من جهد في تعلّمها وعلى قربها النوعي من لغتنا الأولى» [33]

تمثل: فلسفة الوجود اللغوي والتكيف مع الهوية

هذه المقولة تطرح رؤية فلسفية حول اللغة، حيث تؤكد أن اللغة ليست جامدة، بل تعتمد على الجهد المبذول في تعلمها، مما يعكس فكرة أن الهوية ليست ثابتة، بل متغيرة وقابلة للتكيف بحسب الظروف المحيطة

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة، يتضح أن الهوية ليست كيانًا ثابتًا، بل هي مفهوم ديناميكي يتشكل ويتغير تبعًا للسياقات الثقافية والاجتماعية والتاريخية المختلفة. وقد أظهرت رواية مرافئ الحب السبعة لعلي القاسمي أن الهوية تتجلى في صراعات الإنسان الداخلية بين الانتماء والتحرر، وبين الذات والآخر، كما أنها تتأثر بالزمان والمكان والعلاقات الإنسانية.

عبر التحليل، تبيّن أن الهوية في الرواية ليست مجرد انتماء ثقافي أو لغوي، بل هي تجربة وجودية متشابكة تتداخل فيها مشاعر الحب، الاغتراب، والانتماء، مما يعكس تعقيدها وأبعادها الفلسفية. وبذلك، فإن دراسة الهوية في الأدب لا تقتصر على تحليل الشخصيات أو الأحداث، بل تمتد إلى استكشاف أعمق الأسئلة حول الوجود والذات في عالم متغير.

من خلال هذا البحث، يمكن القول إن الأدب يظل أحد أهم الوسائل التي تعكس وتحلل تعقيدات الهوية الإنسانية، مقدّمًا للقارئ تجربة ثرية تساعده على فهم ذاته ومحيطه بشكل أعمق.

المصادر والمراجع:

١_ التعليقات، محمد أبي نصر الفارابي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر، ٣٣٩م
٢_ الدراسات الثقافية، مقدمة نقدية، سايمون ديورنغ، ترجمة: ممدوح يوسف عمران الكويت عالم المعرفة، ٢٠١٥م
٣_ رواية مرافئ الحب السبعة، علي القاسمي، بغداد، بيروت، ٢٠١٧م
٤-في مفترق الطرق، زكي نجيب محمود، دار الشروق، القاهرة وبيروت، ط٢، ١٩٩٣م
٥- معجم التعريفات، محمد الجرجاني، دار الفضيلة، القاهرة
٦- المعجم الفلسفي، إبراهيم مذكور، الهيئة العامة لشؤون الأميرية، القاهرة، ١٩٨٣م
٧- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م
٨- معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، دار الجنوب، تونس، ٢٠٠٤م
٩- موقع الهوية السلطة الجسد المكان العنف، سعد محمد رحيم ط ١ دار ميزوبوتاميا للنشر والتوزيع، بغداد ٢٠١٨م
١٠- الهوية ورهاناتها، فتحي التريكي، ٢٠١٠م
١١- الهوية والسرد، بول ريكور، ترجمة: حاتم الورفلي، دار التنوير للطباعة والنشر، ٢٠٠٩م
١٢- الهوية، اليكس ميكشيللي، المجلد١، ترجمة: د. علي وطفة دنشق، دار الوسيم للخدمات الطباعية، ١٩٩٣م

---

[1] في مفترق الطرق، زكي نجيب محمود، دار الشروق، القاهرة وبيروت، ط٢، ١٩٩٣م، ص٣

[2] معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، دار الجنوب، تونس، ٢٠٠٤م، ص٤٩٤

[3] المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م، ص٥٢٩

[4] التعليقات، محمد أبي نصر الفارابي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر، ٣٣٩م، ص ٢١

[5] المعجم الفلسفي، إبراهيم مذكور، الهيئة العامة لشؤون الأميرية، القاهرة، ١٩٨٣، ص٢٠٨

[6] معجم التعريفات، محمد الجرجاني، دار الفضيلة، القاهرة، ص٢١٦

[7] موقع الهوية السلطة الجسد المكان العنف، سعد محمد رحيم ط ١ دار ميزوبوتاميا للنشر والتوزيع، بغداد ٢٠١٨

[8] الهوية، اليكس ميكشيللي، ١٩٩٣م، المجلد١، ترجمة: د. علي وطفة دنشق، دار الوسيم للخدمات الطباعية، ص٧

[9] الدراسات الثقافية، مقدمة نقدية، سايمون ديورنغ، ٢٠١٥م، ترجمة: ممدوح يوسف عمران الكويت عالم المعرفة، ص٢٤١

[10] الهوية والسرد، بول ريكور، ٢٠٠٩م، ترجمة: حاتم الورفلي، دار التنوير للطباعة والنشر، ص٦

[11] رواية مرافئ الحب السبعة، ص٢٣

[12] الرواية، ص٤٣

[13] الرواية، ص٢١٢

[14] الرواية، ص٢٦

[15] الرواية، ص٢٥٩

[16] الرواية، ص١١١

[17] https://www.alquds.co.uk/%D8%A8%D9%84%D8%A7%D8%BA%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%B4%D8%B7%D8%A7%D8%B1-%D9%88%D8%B9%D9%86%D9%81-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B6%D8%A7%D8%A1-%D9%81%D9%8A-%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%A9-%D9%85/

[18] https://h-rah.blogspot.com/2017/08/blog-post_2.html?m=1 .

[19] الرواية، ص١٣

[20] الرواية، ص١٣

[21] الرواية، ص١٣

[22] الرواية، ٢٥٦

[23] الرواية، ص٤٩

[24] الرواية، ص٢٦٥

[25] الرواية، ن ص

[26] الهوية ورهاناتها، فتحي التريكي، ٢٠١٠م، ص٢٤

[27] الرواية، ص٢٣

[28] الرواية، ص٣٥

[29] الرواية، ص١٠

[30] الرواية، ص٧٢

[31] الرواية، ص٢٧٥

[32] الرواية، ص٢٦٨

[33] الرواية، ص٢٠٤